الفرق بين الصدقة والقرض الحسن

التجارة نوعان: تجارة مع الناس وتجارة مع الله، التجارة مع الناس رابحة أو خاسرة، وإذا ربحت ربحت ربحا معقولا، عشرون بالمئة، ثلاثون بالمئة، أما إذا ربحت مئة بالمئة فتعد تاجرا فذا، أما إذا ربحت مئتين بالمئة فشيء غير معقول، إلا أنك إذا تاجرت مع الله الربح ليس له حدود، التجارة نوعان تجارة مع العباد، وتجارة مع رب العباد، مع العباد تربح أو تخسر، وإذا ربحت فتربح بحدود معقولة، لكن التجارة مع الله عز وجل لا حدود لها، وكلها بالقرض الحسن، قال بعضهم: «القرض الحسن لا وفاء له إلا من خزائن رحمة الله».

كيفية تعامل أصحاب النبي مع القرآن الكريم :

لما نزل قوله تعالى:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة: 245]

قال أبو الدحداح: الآن دققوا كيف يتعامل أصحاب النبي مع القرآن الكريم.

قال زيد بن أسلم: لما نزل قوله تعالى

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله إن الله يستقرضنا وهو غني عنا؟ قال: نعم، يريد أن يدخلكم به الجنة، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضا حسنا يضمن لي ولصبيتي الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: نعم، فقال أبو الدحداح: يا رسول الله ناولني يدك، فناوله النبي الكريم يده، فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله تعالى- هبة- فقال عليه الصلاة والسلام: اجعل احدهما لله تعالى والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك، النبي اقترح عليه أن يجعل أحدهما لله تعالى والثانية معيشة له ولعياله، فقال أبو الدحداح: أشهدك يا رسول الله اني جعلت خيرهما لله تعالى، الأجمل الأكبر، وهو حائط فيه ستمئة نخلة. قال عليه الصلاة والسلام: إذا يجزيك الله به الجنة.

القرض الحسن تجارة مع الله:

الآن وازنوا بين رجل معاصر أراد أن يعمل صالحا وذهب إلى امرأته ليخبرها بهذا العمل الصالح، ماذا تقول له امرأته؟ وبين صحابية جليلة جاء زوجها ليخرجها من البستان.

قال: فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها بالحديقة تدور تحت النخل، فناداها يا أم الدحداح: قالت لبيك، قال: اخرجي فقد اقرضت ربي حائطا- والله لو انها امرأة معاصرة لصرخت بالويل-، قالت أم الدحداح: ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أقبلت على أبنائها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما بأكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر.. ، هكذا كان أصحاب النبي، نزلت آية:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة: 245]

هذه تجارة مع الله القرض الحسن تجارة مع الله، مطلق العمل الصالح، قد تبذل من مالك، من وقتك، من جهدك، من خبرتك، من علمك، من جاهك، قد تعين مريضا، قد تعين أرملة، حيوانا مجروحا، قد تعين مخلوقا كائنا من كان، كله قرض حسن.

القرض الحسن أفضل من الصدقة :

الحقيقة ما سرّ أن القرض الحسن أفضل من الصدقة؟ السر أنه ما كل إنسان يقبل الصدقة، أما كل إنسان إذا كان محتاجا إلى المال يقبل القرض الحسن، وتبقى نفسه عزيزة رافع الرأس، دائرة الصدقة تضيق، لكن دائرة القرض الحسن تتسع، كل إنسان يكون له عمل، له بيت يضطر إلى قرض حسن، فإذا شاع القرض الحسن بين الأخوة المؤمنين حلت مشكلاتهم، القرض الحسن أوسع من الصدقة، شيء آخر بالحديث القدسي المعروف:

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

هذا الحديث أصل وهو صحيح وقد ورد في الكتب التسع.

حقيقة الدَين :

أخواننا الكرام هذا الحديث من أصول الدين:

((والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر، واعتكافه في مسجده هذا))

[الجامع الصغير عن ابن عباس]

الاعتكاف أن تدع عملك ليلا نهارا في المسجد، صيام وصلاة والشهر ثلاثون يوما، يقول النبي:

((والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر، واعتكافه في مسجده هذا)) والسلف الصالح كانوا يفقهون حقيقة الدين، سيدنا ابن عباس كما قلت لكم رأى رجلا ركبه الهم، قال: مالك؟ قال: عليّ ديون لا أطيق سدادها، قال: لمن؟ قال: لفلان، قال: أتحب أن أكلمه لك؟ قال: إذا شئت، فخرج من معتكفه، فقال له رجل فضولي: أنسيت أنك معتكف؟ قال: لا، لكنني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا.

تعلق القرض الحسن بكل عمل صالح :

قال عليه الصلاة والسلام: «ربي زد أمتي في كل سنبلة مئة حبة أي سبع سنابل، فنزل قوله تعالى:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

[سورة البقرة: 245]

هاتان الآيتان متكاملتان، سيدنا عثمان – والقصة معروفة- أتته بضاعة من الشام دفعوا له ضعف ثمنها، بالمئة مئة وصلوا معه إلى خمسة أضعاف، قال: دُفع أكثر، قالوا: من دفع لك أكثر من هذا؟ قال: إنها لله عز وجل، وعدني الحسنى بعشرة أمثالها.

سيدنا عمر رضي الله عنه كتب إلى ابنه عبد الله يوصيه قال: «أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وزاد قلبك». أيها الأخوة، القرض الحسن من أجل الأعمال الصالحة عند الله، الحقيقة القرض الحسن يؤكد صدق الإيمان.

أدعية عن رسول الله نصح بها الفرماء :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي))

[أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

هذا الدعاء من أصح الأدعية.

((عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ...))

أحيانا الإنسان يكون على درجة عالية من الإيمان، على درجة عالية من الاستقامة، على درجة عالية من العمل الصالح، أنا أدعو وأقول:« اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم أقرر أعيننا من رضوانك»، يقول لك: عندي أرض تضاعفت مئة ضعف ويكثر، عندي وكالة، بيت، فيلا، كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم أقرر أعيننا من رضوانك.هذا دعاء مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوجد دعاء آخر: «اللهم فارج الهم وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحماء الدنيا والآخرة أسألك أن ترحمني برحمة من عندك تغنيني بها عن رحمة من سواك». الدعاء بإخلاص دعاء مستجاب:

والله قبل أيام التقيت برجل صالح وهو يعمل بالتجارة، أقرض رجلاً مبلغاً كبيراً، وهذا الإنسان ليس جيداً وهو محتال، وقد أخذ من أناس كثيرين أموالاً طائلة، ويبدو أن هذا المال هلك، قال لي: والله صليت قيام الليل ودعوت في وقت السحر وقلت: يا رب هذا المال تعلم أنه حلال فرده لي، على ثلاثة أيام، يقسم بالله العظيم أن الله تعالى ألهم هذا المحتال أن يعطيه الدين، أعطاه إياه على دفعات ثلاثة ولم يعط أحداً غيره، أنا أقول لكم قيام الليل.

((إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ]

إذا ضاقت الحيل ليس لك إلا الله، ليس لك إلا أن تقوم الليل وتنفذ دعوة الله عز وجل، هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ قال لي: والله بعد أن يئست أن أسترد من مالي درهماً واحداً وعلمت أنه بنصاب محتال وقد أخذ أموالاً طائلة من أناس كثيرين وامتنع عن الدفع، ما وجدت من حيلة إلا أن أدعو الله عز وجل، ثلاث ليالي وأنا أدعو الله عز وجل ليرد لي المال، فما كان من هذا المحتال بشكل أو بآخر وبسبب لا يعلمه أن رد له الدين على ثلاث دفعات، ولم يعط أحداً سواه.

آلاف الشواهد أيها الأخوة، الله عز وجل يحب أن يريك آياته، وهذه من آياته، تدعوه ولا يستجيب لك؟ والدعاء في الدين، إذا رجل قال بإخلاص يا رب اقض عني الدين، يوجد إنسان ما عليه دين، ما أكثر الديون في هذا الزمان، ديون لا أطيق لها سداداً، والله عز وجل موجود، قلت لكم في الدرس الماضي: أحد أخواننا الكرام أصابه مصيبة في ماله، فذهب معظم رأس ماله، وعليه دين مليون وأكثر ولا يجد قوت يومه، أيضاً لا يوجد إلا الدعاء، الله عز وجل يسر له، بأقل من ستة قضى دينه، بظرف استثنائي وقلما يقع، والقصة لها تفاصيل كثيرة، من أقل من عام مكنه الله أن يرد دينه، إذا كان لك دين اطلب من الله أن يرد لك إياه، وإذا عليك دين اطلب من الله أن يعينك على وفائه، والحديث الأساسي في هذا الموضوع:

((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ)).

الأشهر الحرم

الأشهر الحرم هي ذو القعدة، وذو الحجّة، ومحرّم، ورجب، كما في الصحيحين من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:« إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّموات والأرض، السّنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرُمٌ، ثلاثة مُتواليات ذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم، ورجبُ مضرَ الذي بين جمادى وشعبانَ ». وقد قال رجب شهر مضر الذي بين جمادى وشعبان، وذلك لأنّ ربيعة كانوا يحرّمون شهر رمضان ويسمّونه رجبا، وكانت مضر تحرّم رجبا نفسه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:« الذي بين جمادى وشعبان ». تأكيدا وبيانا لصحّة ما سارت عليه مُضر. وأمّا ما جاء في مضاعفة الثّواب والعقاب في هذه الأشهر، فقد أقرّ ذلك بعض أهل العلم استنادا لقوله تعالى:« إنّ عدّة الشّهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السّماوات والأرض منها أربعة حُرُمٌ ذلك الدّين القيّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم ». التوبة/36. وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: « فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم ». أي في هذه الأشهر المحرّمة، لأنّها آكد، وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أنّ المعاصي في البلد الحرام تضاعف، لقوله تعالى:« ومن يُرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ». الحجّ/25. وفي الأشهر الحرم تغلظ الآثام، ولهذا تغلظ فيه الدّية على المذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء، وكذا في حقّ من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم، ثم نقل عن قتادة قوله: إنّ الظّلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظّلم في سواها، وإن كان الظّلم على كلّ حال عظيما، ولكنّ الله يعظّم في أمره ما يشاء ». وقال القرطبي:« لا تظلموا فيهنّ أنفسكم بارتكاب الذّنوب، لأنّ الله سبحانه إذا عظّم شيئا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظّمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة، فيضاعف فيه العقاب بالعمل السّيء، كما يضاعف الثّواب بالعمل الصّالح، فإنّ من أطاع الله في الشّهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشّهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشّهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال، وقد أشار الله إلى هذا بقوله:« يا نساء النّبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ». الأحزاب/30. (1) سبب تسمية الأشهر الحرم ذكر بعض المفسّرين أنّ هذه الأشهر سمّيت حُرما لزيادة حرمتها، ولتحريم القتال فيها. وأمّا القتال في الأشهر الحرم فله شكلان: (2) القتال دفاعا عن المسلمين، وهذا جائز بإجماع أهل العلم، وقد حكى هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم. القتال هجوما، واتّفق جمهور أهل العلم على جوازه، سواء ابتدأ فيها أو ابتدأ قبلها، قالوا: وتحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقول تعالى:« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ». التوبة/5. وبغزو النّبي – صلى الله عليه وسلم – للطّائف في الأشهر الحرم. كما ذهب بعض أهل العلم إلى حرمة القتال هجوما في الأشهر الحرم، إلا أن يكون قد ابتدأ قبلها، وحملوا غزو النّبي – صلى الله عليه وسلم – للطّائف على هذا. الحكمة من تحريم الأشهر الحرم إنّ الأشهر الحرم كانت تعظّم على عهد سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، وقد استمرّ العرب من بعدهم على هذا التّحريم، ثمّ نسخ ذلك فيما بعد. وقال صاحب التّفسير المنير:« وكان القتال محرّمًا في هذه الأشهر الأربعة على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، واستمرّ العرب على ذلك، ثمّ نسخت حرمتها ». وأمّا الحكمة من تحريم القتال فيها، فقد أوردها ابن كثير في تفسيره، حيث قال:« وإنما كانت الأشهر المحرّمة أربعة: ثلاثة سرد، وواحد فرد، لأجل مناسك الحجّ والعمرة، فحرّم قبل شهر الحجّ شهر وهو ذو القعدة، لأنّهم يقعدون فيه عن القتال، وحرّم شهر ذي الحجّة لأنّهم يوقعون فيه الحجّ، ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرّم بعده شهر آخر وهو المحرّم، ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرّم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثمّ يعود إلى وطنه آمنا ». (3) معاني الأشهر الحرم لأسماء الشّهور معان مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأعمال التي كانت تؤدّى فيها، ومنها الأشهر الحرم، ومعانيها: (4) ذو القعدة: سمّي ذو القعدة: لأنّ العرب تقعد عن القتال في هذا الشّهر على اعتباره من الأشهر الحرم. ذو الحجّة: لأنّ العرب عرفوا الحجّ في هذا الشّهر. محرّم: سمّي مُحرّم لأنّ العرب قبل الإسلام حرّموا القتال في هذا الشّهر . رجب: سمّي رجب لأنّ العرب كانوا يتركون القتال في هذا الشّهر، ومعنى رجب أي الشّيء المعظّم أو ذو الهيبة. خصائص الأشهر الحرم إنّ للأشهر الحرم خصائصا تميّزها عن باقي شهور السّنة، ومنها: القتال محرّم فيهنّ، وذلك لقوله تعالى:« يسألونك عن الشّهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ». البقرة/217. وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى نسخ هذا الحكم وجواز القتال فيهنّ، الظّلم محرّم فيهنّ، وإليه يشير قوله تعالى:« فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم ». التوبة/36. اشتمال هذه الأشهر على فضائل وعبادات ليست موجودة في غيرها، ومنها: الحجّ، فركن الحجّ كله يقع في شهر ذي الحجّة، الليالي العشر التي أقسم بها الله تعالى، وتسمّى بعشر ذي الحجة. يوم عرفة، وهو أفضل أيّام العشر، ويشرع لغير الحاجّ صيامه.

دعاء

«لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم

« اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، اللهم أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت » اللهم فرج عنا ما نحن فيه ، اللهم هون علينا أمورنا ، واصرف عنا كل شر

« لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »

« الله ربي لا أشرك به شيئا»